

**ثقافة العنف
بين المسيحية الصهيونية
والحركة الإسلامية المتشددة**

:: دراسة تحليلية

د. يوسف محمود الصديقي

أستاذ المنطق والفلسفة الإسلامية المشارك

العميد المساعد لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

إن لم تكن كل الندوات والمؤتمرات التي تعقد في أوطاننا أو في غيرها من الدول الأوروبية أو أمريكا فإن جُلها قد تعاقبت بعد أحداث ١١ سبتمبر، وأخذت هذه الندوات والمؤتمرات تأخذ أشكالاً وصوراً في أطروحاتها ومدخلاتها، والقائمين عليها والمشاركين فيها، بين مؤيد لهذه الأطروحات و متمسك بها وبمقولاتها، وبين معارض ومخالف لها على مضمّن حيناً، وبين ثالث رافض ومعاند ومقاطع لها - وبين هذه الرؤى الثلاثة أحببت أن أقف، وأن احلل، وأن استقري ، و أن أقرأ ما عند الطرف الآخر المتمثل في الصهيونية المسيحية، وما عندنا نحن المسلمين من أصولية سياسية إسلامية من بعد ثقافي مفرز للعنف الواقع والقائم في أماكن ومساحات من العالم.

ولا يغيب عن بالنا جميعاً ما للثقافة من أهمية في تكوين وإيجاد الأحداث السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية، والتربوية والتعليمية.

وقد اتجهت النية منذ اشتداد حضور الحركات الأصولية بشقيه الإسلامي، والمسيحي الإنجيلي الصهيوني إلى دراسة هذه الحركات الأصولية أملاً في السيطرة على الموضوع، رغم صعوبته والإمام به، ولتثعبه من جهة، ثم لصعوبة ومشقة تتبع مباحث الموضوع المتفرق والمبعثر في مقالات وكتب ومراجع نادرة، وغير واضحة، ولعلي بعد دراستي لهذا الموضوع الجديد والقليل المصادر والمراجع أستطيع بيانه وإلقاء الضوء عليه بشكل علمي ومنهجي. ورغبة في السيطرة على محاور هذا البحث آثرت أن أتناوله بالدراسة في مقدمة، ومبشرين وخاتمة.

فالمقدمة : تتضمن إعطاء موجز لمحتوى البحث وجزئياته، ومنهجي فيه وخطة إنجازه.

والمبحث الأول : هو في البعد الثقافي لغالبية أعضاء الإدارة الأمريكية الحالية، والقائم على أن الثقافة الخاصة بغالبية أعضاء الإدارة الأمريكية الحالية قائمة على التأسيس الديني.

والمبحث الثاني: يتناول البعد الثقافي لظاهرة العنف لدى الأصوليين المسلمين أو رد الفعل عندنا نحن معشر المسلمين.

أما الخاتمة : فتشتمل على تقييم موجز للأصولية الصهيونية المسيحية، والأصولية الإسلامية السياسية.



المبحث الأول

البعد الثقافي لغالبية الإدارة الأمريكية الحالية

نتيجة لأحداث ١١ سبتمبر حدثت تطورات وتحولات في فكر غالبية أعضاء الإدارة الأمريكية الحالية وتوجهاتهم، وهذه التحولات قائمة على اعتبار أنها في حل عن جميع القيود والمواثيق والأعراف الدولية، بل هي في حل من حمل الاعتبارات الإنسانية محمل الجد، وفي تنازل صارخ عن القيم الأخلاقية أعلنت الولايات المتحدة يوم ١١ سبتمبر الحرب على عدو خفي لا يثبت في مكان واحد، ولا على شكل واحد، وهو الإرهاب^(١)، وضمنه أعلنت الحرب على أفغانستان والعراق، وأعطت لنفسها الحرية الكاملة، حرية متحررة من كل قيد، فهي قد ضربت في دارها، وسكينتها، وبين أهلها^(٢).

وثقافة غالبية قادتها زعمت أن من الضروري أن تكون لها حرية التصرف كاملة غير منقوصة في جميع أرجاء المعمورة.

البعد الثقافي لغالبية قادة أمريكا قائم على التوجه -البيوريتاني- (الديني)^(٣) الذي بدوره أثر على السياسة والدولة؛ والمحافظون الجدد بهذه الثقافة هم الذين يفكرون

(١) انظر محمد السماك: الدين في القرار الأمريكي، ص ٨، طبعة دار النفائس، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م بيروت

- وانظر أيضاً: ستيفان هالبر وجو شاشان كلارك: التفرد الأمريكي -المحافظون الجدد والنظام العالمي، ص ٨، دار الكتاب العربي، بيروت سنة ٢٠٠٥

(٢) New York Times, December <<The US must strike at Iraq,>>perle, 28,2001, P A 19.

<<The Transformation of National Security,>>Philip Zelikow - National Intres, Spring 2003, P.26.

(٣) هذا التوجه الديني حركة صهيونية مسيحية ينتمي لها غالبية قادة أمريكا، وعلى الرغم من نفوذها القوي الذي تتمتع به في الولايات المتحدة، فإن التيار المسيحي العام الأمريكي معارض

نيابة عن الجماعة، ويأخذون على عاتقهم التعرف على الشؤون السياسية والدولة داخلياً وخارجياً، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، حيث قاموا بتحويلات جذرية في الولايات المتحدة ذاك البلد الواسع في جغرافيته والمتعدد في أعراقه.

والبعد الديني لغالبية هؤلاء القادة قائم على الأصولية التي تحمل صبغة التشدد والتقييد بالمنطلقات الدينية القائمة على الغريزة الدينية؛ وهذا البعد الديني لغالبية قادة أمريكا متمثل في الحركة الصهيونية المسيحية.

حقيقة الحركة الصهيونية المسيحية:

تعني الصهيونية المسيحية في أساسها الدعم المسيحي المطلق للصهيونية. وأن رسالتها تستلخص في أن كل عمل تقوم به إسرائيل هو من ترتيب الله وتصميمه، ولذا يجب علينا أن نتغاضى عنه، وندعمه ونقدم المدح والثناء له^(٤)

و الصهيونيون المسيحيون يقدمون الدعم والتأييد للبرنامج اليهودي الديني، الذي عبر عنه بأفضل عبارة الحاخام "شلومو افنير" الذي يقول ((يجب علينا أن لا ننسى أن الهدف الأسمى لتجميع الذين في الشتات ولتأسيس دولتنا هو بناء الهيكل؛ إن الهيكل هو قمة الهرم.))

ويشرح حاخام آخر هو "إسرائيل ميدا" الرابط بين السياسة واللاهوت ضمن حركة الصهيونية المسيحية كالتالي ((إن القضية كلها تتعلق بالسيادة، فمن يسيطر على جبل الهيكل يسيطر على القدس، والذي يسيطر على القدس يسيطر على أرض إسرائيل)).^(٥)

لها ، كما أن رؤساء أمريكيين كثيرين أبعدها وابتعدوا عنها في سياساتهم وعقيدتهم ،مثل الرئيس دوايت ، ايزنهاور ، وجورج بوش الأب، وبيل كلينتون.

(٤) ستيفن سايزر: الصهيونيون المسيحيون ، ص ٢٢

(٥) نفس المصدر

وهذا الإطار الفكري الصهيوني اليهودي المسيحي مُتمثل في ثلاث حلقات؛ تُمثل الأرض الحلقة الخارجية منها، والقدس الحلقة الوسطى، والهيكل الحلقة المركزية، تحققت الحلقتان الأولى والثانية، ولا تزال الثالثة موقع الهيكل متنازعاً عليه.

ومن يقرأ كتاب ((يد الله - Forcing Gods hand)) - لغريس هالسل - سيقف على تصور شامل للحركة الصهيونية المسيحية مع بيان لوجودها وحضورها الإعلامي القوي.

حيث تمتلك مائة محطة تليفزيونية، وألف محطة إذاعية، وإنها دائمة الحضور، وواسعة الانتشار في الولايات المتحدة، وتبدو أنها أكثر الكنائس الأمريكية توسعا، ويعمل في ميدان التبشير لها (٨٠) ألف قسيس، وفي حقبة الثمانينات وحدها تم إنشاء (٢٥٠) مؤسسة وجمعية دينية أمريكية مؤيدة لإسرائيل في إطار برامج الصهيونية المسيحية))^(٦)

وبالنسبة لعدد أفراد هذه الحركة الصهيونية المسيحية فإن الأمر غير واضح حتى الآن، وفيه غموض وتضارب، بسبب عدم وجود مصادر إحصائية موثقة ورسمية؛ لكن قادة الحركة أمثال "بات روبرتسون" و "جيرري فولويل" يدعون أن عدد أتباعهم في الولايات المتحدة يبلغ مائة مليون، وأصحاب الكنائس المسيحية الأخرى؛ كالكنيسة الكاثوليكية والبروتستانت يقولون إن العدد أقل من ذلك بكثير، وأنه يتراوح ما بين ٢٥ و ٣٠ مليون أمريكي))^(٧).

(٦) ترجمة محمد السماك Forcing Gods hand: Grace Halsell. Page185 طبعة دار الشروق - القاهرة، سنة ٢٠٠٠م

(٧) محمد السماك : الدين في القرار الأمريكي ، ص ٢١١ .
- وانظر أيضاً ستيفن سايزر : الصهيونيون المسيحيون على الطريق الى معركة هرميجدون ، ص ٢٤ - ٢٥ ، الناشر الفريق العربي للحوار الاسلامي المسيحي ، الطبعة الاولى ٢٠٠٤ - بيروت

وجوهر عقيدة الحركة الصهيونية المسيحية قائم على عقيدة العودة الثانية للمسيح الذي هو أساس مبادئ الصهيونية اليهودية؛ ويصف "ديف كرولي" المذيع الديني في واشنطن- هذه الحركة بأنها ((البدعة الدينية الأسرع نموا في أمريكا؛ إنها لا تتألف من البسطاء، وإنما من الأمريكيين أعضاء الطبقة الوسطى، والوسطى العليا، الذين يقدمون ملايين الدولارات كل أسبوع إلى الدعاة الذين يظهرون على التلفاز، والذين يطرحون ويشرحون المبادئ الأساسية لهذه البدعة الدينية؛ إنهم يقرؤون كتب "هالي ليندسي" و "يتم لاهي" ولديهم هدف واحد، وهو تسريع عمل يد الله تطلعا إلى اللحظة التي سيصعدون فيها إلى السماء متحررين من كل المتاعب الأرضية، ومن هناك يشاهدون معركة هرميجدون، وتدمير كوكب الأرض. (٨)

غالبية المحافظين الجدد في القيادة الأمريكية الحالية يحتضنون هذه العقيدة؛ وقد كانت من قبل تمتلك قلوب بعض رؤساء الولايات المتحدة السابقين؛ وتؤثر في سياساتهم فالرئيس ليندون جونسون Lyndon Johnson الذي تولى الرئاسة في الولايات المتحدة في عام ١٩٦٨م قال في خطاب ألقاه أمام منظمة يهودية أمريكية:-

((إن لأكثركم إن لم يكن لجميعكم روابط مع أرض ومع شعب إسرائيل، كما هو الأمر بالنسبة إلي، ذلك لأن إيماني المسيحي انطلق من إيمانكم إن القصص التوراتية محبوكة مع ذكريات طفولتي، كما إن الكفاح الشجاع الذي قام به اليهود المعاصرون من أجل التحرر منعس في نفوسنا؛ وكذلك الرئيس جيمي كارتر Jimmy Carter الذي عبر عن مشاعره الصهيونية المؤيدة للصهيونية اليهودية بقوله : بأن مشاعره الصهيونية كانت الحافز الذي صافح سياسته في الشرق الأوسط.)) (٩)

(٨) ستيفن سايزر : الصهيون المسيحيون ، ص ٢١-٢٢

(٩) Jimmy Carter, The Blood of Abraham (London, Sidgwick and Jackson ١٩٨٥)

وفي إحدى خطبه في تاريخ ١٩٧٨/٥/١م وصف دولة إسرائيل بأنها : ((العودة إلى أرض التوراة التي اخرج منها اليهود منذ مئات السنين، وإن إقامة الأمة الإسرائيلية في أرضها هو تحقيق لنبوذة توراتية، وتمثل جوهر هذه النبوذة.))^(١٠)

أما الرئيس رونالد ريغان Ronald Reagan فإنه أكثر الرؤساء الأمريكيين إيماناً والتزاماً بالعقيدة الصهيونية المسيحية، والكاتبة غريس هالسل تذكر في كتابها ((النبوذة والسياسة)) لنا أن رونالد ريغان نشأ على العقيدة الصهيونية على يد والدته "نيل" "Neil" . والتي كانت قارئة للكتاب المقدس، ومتعبدة جدا ، ومؤمنة بالمسيح والخلص، ولذا نشأ ريغان على قراءة الكتاب المقدس، والتعبد بما فيه زيارة الكنائس. وفي جانب آخر تأثر ريغان بأصدقاء مقربين يعتقدون في ((التدبيرية الإلهية)) مثل القس الإيفانجيلي، والمبشر - بيلي جراهام - ويذكر ريغان أن جراهام زاره خلال إقامته في المستشفى عام ١٩٦٨م ودار بينهما حديث حول النبوذة المتعلقة بالمجيء الثاني للمسيح، وإمكان تحقيقها في ذلك الوقت. وفي عام ١٩٧٠م وخلال حملة ريغان لولاية ثانية كحاكم لولاية كاليفورنيا، زار ريغان في منزله القس الإيفانجيلي " جورج أوتيس" حيث دار حديث طويل عن النبوذة التوارثية ، ومأثورات نهاية الزمن، وفي نهاية الحديث كما قال " أوتيس" وقف الجميع مع الحاكم ريجان يؤدون الصلاة وأيديهم متشابكة وتنبا " أوتيس" لريغان بأن يصبح رئيساً للولايات المتحدة)^(١١).

واعتقاد ريغان نابع من قراءته للإصحاحين ٣٨-٣٩ من سفر حزقيال الذي قال عنه شارحا ومبيناً : إن حزقيال رأى في العهد القديم المذبحة التي ستدمر عصرنا

(١٠) Speech by President Jimmy Carter. Department of state Bulletin; vol P.H (١٩٧٨) 78, No. 2015,

(١١) رضا هلال : المسيح اليهودي ونهاية العالم ،ص١٣٤ ،طبعة الشروق العالمية. الطبعة الأولى، مصر، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

((وقال ريغان: إن جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل هرميجدون قد حدثت؛ ففي الإصحاح ٣٨ من سفر حزقيال أن الرب سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين، حيث سيكونون مشنتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة "لقد تحقق ذلك أخيرا بعد ألفي سنة، ولأول مرة يبدو كل شيء في مكانه بانتظار هرميجدون، والمجيء الثاني للمسيح" إن حزقيال يقول: إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطر على أعداء شعب الله، إن ذلك يجب أن يعني أنهم سوف يدمرون بواسطة السلاح النووي.

وفي حملته للرئاسة عام ١٩٨٠م ذكر ريغان في مقابلة تليفزيونية أجراها معه الواعظ التليفزيوني "جيم بيكر" قال: إننا قد نكون الجيل الذي يشهد هرميجدون. وفي العام نفسه نقل "ويليام سافايدر" معلق صحيفة نيويورك تايمز أن ريغان قال أمام مؤتمر يهودي: إن إسرائيل هي الديمقراطية الثابتة الوحيدة التي يمكن أن تعتمد عليها كموقع لحدوث هرميجدون.

وفي مقابلة مع القس "جيرى فالويل" عام ١٩٨١م كشف فالويل عن أن الرئيس ريغان قال له: إن تدمير العالم يمكن أن يحدث قريبا.

وفي مناسبات ثلاث (١٩٨٢/١٩٨٣/١٩٨٤م) خطب ريغان في اتحاد المذيعين الدينيين مؤكدا اقتناعه بقرب هرميجدون والمجيء الثاني للمسيح، وفقا لمشيئة الرب، كما ورد في نبوءات الكتاب المقدس))^(١٢)

وفي عام ١٩٨٤م أجرى الصحفي "توم دين" Tom Dine الذي يعمل في صحيفة واشنطن بوست Washington post مقابلة مع الرئيس رونالد ريغان، وقال فيها: ((إنني أعود إلى تلك النبوءات القديمة المذكورة في العهد القديم، وإلى المأثورات حول هرميجدون، فأتساءل بيني وبين نفسي ما إذا كنا الجيل الذي سيرى تحقق ذلك، لا

(١٢) san Diego, August, 1985

أعرف إذا كنت لاحظت معي أيًا من هذه النبوءات مؤخرًا، ولكن صدقتني إنها تصف بالتأكيد ما نمرُّ به الآن.))^(١٣).

وما يجب ملاحظته هنا أن مكنم خطورة هذه الحركة الدينية متمثل في أنها تجعل من السياسة الخارجية القائمة على دعم ومناصرة إسرائيل ومحاربة أعدائها الوجه المقابل للسياسة الداخلية، وهي في الوقت ذاته توحى بأن مساعدة إسرائيل هو واجب ديني على كل مسيحي وأمريكي.^(١٤)

وخير دليل على هذا أنه في يوم الثلاثاء ٢٤/أكتوبر/١٩٩٥م اتخذ الكونغرس الأمريكي بمجلسيه الشيوخ والنواب قرارا باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل الصهيونية، وينقل مقر السفارة الأمريكية إلى القدس. ورغم أن ثمانية من قادة الكنائس الأمريكية الكاثوليكية والأرثوذكسية، والإنجيلية، وقعوا على بيان يعارض نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، ورغم أن الرئيس كلينتون لم يجد في توقيت القرار على الأقل أي خدمة للمصالح الأمريكية الاستراتيجية، أو لمساعي التسوية في الشرق الأوسط التي كانت تقوم بها إدارته.

وجدد الكونغرس الأمريكي تبنيه لهذا القرار في شهر سبتمبر ٢٠٠٢م ووقع عليه الرئيس بوش الابن نفسه، استجابة لطلب الحركة الأصولية الإنجيلية الأمريكية، وكان توقيعه الأول في تاريخ القضية الفلسطينية، وقضية القدس.

إن هذه الحركة الكنسية تعلم أتباعها إن من واجب الإنسان المؤمن أن يوظف كل إمكانياته وقدراته لتحقيق إرادة الله، كما تحددها هذه الحركة الدينية، وإن الله يختار من الناس من يؤهلهم ويمكنهم من القيام بهذا الدور المساعد لتحقيق الإرادة الإلهية، ولذلك

^(١٣) rommic duggew , does Reagan exect anuclcan clean anmegeddon

١٩٨٤ Washington post, 18 april

^(١٤) انظر : ستيفين سايزر : الصهيونية المسيحيون على الطريق إلى معركة هرمجيدون ص ١٥

كان الرئيس الأسبق ريغان يقول: انه يتمنى أن يمن الله عليه بشرف كبس الزر النووي لتحقيق إرادة الله في وقوع معركة هرميجدون، ومن ثم بعودة المسيح. حتى أن الرئيس بوش الابن نفسه يقول إن الحرب على العراق هي مهمة إلهية، يقوم بها من أجل عالم أفضل^(١٥).

أما الرئيسان الأمريكيان اللذان تعاقبا على البيت الأبيض من بعد الرئيس ريغان، وقبل الرئيس الحالي، وهما جورج بوش الأب George Bush، وبييل كلينتون Bill Clinton فلم يكن يربط أياً منهما بحركة الصهيونية المسيحية أي رابط عقائدي، وخلال عهدي هذين الرئيسين غاب دور هذه الحركة إلا أنه عاد بشكل انفجاري في عهد الرئيس جورج بوش الابن.

وما كان لتوظيف الدين في السياسة أن يتمتع بصدقية مقدسة وبالترام شديد في الدوائر السياسية الأمريكية، لو لم يعمل لاهوتيو الحركة الصهيونية المسيحية على ربط الوقائع السياسية بالنبؤات التوراتية، وهذا أمر برع القس "هول ليندسي" في أدائه بفعالية كبيرة، فهو يقول مثلاً: ((أنني أعرف من دراستي للإجيل أن الحرب النهائية الكبرى سوف تشمل تركيا كجزء من المعسكر الإسلامي المتحالف مع روسيا.. وأن الأمم الكبرى التي يشير إليها الإجيل هي ممالك الشرق، ((الصين، الهند، باكستان، وكلها أمم نووية، وروسيا، وياجوج، وليبيا ومصر وإيران، والعراق))^(١٦).

وق عرض "بوب" صاحب كتاب بوش في الحرب Bush at War أفكار وثقافة الرئيس الابن وغالبية المحافظين الجدد؛ إذ يورد في الكتاب مجريات اجتماعات الإدارة الأمريكية بعد ١١ سبتمبر، وفي مقابلة يقول بوش: سوف استغل الفرصة لتحقيق أهداف

^(١٥) محمد السماك : الدين في القرار الأمريكي ، ص ٥٠

^(١٦) H.Lindsay, The final butle ((palosverdes California, Western. Front, 1995)). P.p.83-213

كبرى.. ولا شيء أهم من تحقيق سلام عالمي. والحرب على العراق أمر أساسي في هذا السلام. فانت إما أن تؤمن بالحرية وإلا فلا.. والولايات المتحدة في وضع فريد الآن.. ومن غير الممكن إيجاد حلول بالكلام مع الآخرين والمهم هو النتائج، والفعل وحده هو الذي يقنع الآخرين.. ومن الضروري إعادة ترتيب العالم بقرارات أحادية إذا لزم الأمر. وأن الظروف مواتية لإعادة تشكيل العالم.

ويمتدح "بوش" سياسة بوش الابن ويصفها بأنها أممية أمريكية مميزة تجمع العناصر الإيجابية من الواقعية والليبرالية، فهي تزوج بين القوة الأمريكية والمثل الأمريكية القائمة على ((الاستثنائية الأمريكية))، وعلى الاعتقاد بفرادة النظام السياسي الأمريكي وأفضليته التي تقدم -حين تترجم إلى السياسة الخارجية- النموذج الذي يجب أن يحتذى في العالم كله.

وكذلك عرض كل من - وليام كريستول ولورانس كابلان - في كتابهما "الحرب على العراق" The War Over Iraq، وهما من أشهر منظري اتجاه المحافظين الجدد، ورسموا ما في الكتاب سياسة وثقافة المحافظين الجدد في قاعدة ثقافية قائلين: إن الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة العظمى بامتياز، مما يعطيها الحق في استخدام قوتها لفرض هيمنتها بالكامل.. ويعتبر الكاتبان أن بوش الأب اتبع سياسة "واقعية ضيقة" بسعيه للحفاظ على الاستقرار عندما امتنع عن استكمال الحرب لقلب نظام صدام حسين، ويستنكران الواقعية المؤسسة على مبدأ المصالح الحيوية، وفي الوقت نفسه يدينان جميع الكتاب والأدباء والمنقذين والمسئولين الذين قالوا بسياسة المصالح الحيوية ومن ثم فضلوا على المواجهة والعنف.

ومن يحلل هذه ((الاستثنائية الأمريكية)) التي يقول بها المحافظون الجدد يجدها تناقض فكرة النسبية الثقافية القائلة: إن لكل أمة ثقافتها وهويتها؛ غير أن المحافظين

الجدد يقولون: إن هناك حقيقة واحدة مطلقة، هي الحقيقة التي تقرها الولايات المتحدة الأمريكية، أو هي التي تنبع من تراثها وقيمها وتاريخها.

وهكذا تحل ثقافة القوة مكان السياسة والهيمنة مكان الحوار، وتتبدل الدبلوماسية من اتصال وعلاقة سياسية بين الدول إلى أوامر أمريكية تستلزم السمع والطاعة والتفويض.

ويمكن تلخيص برنامج غالبية المحافظين الجدد الذي يمثل ثقافتهم ومنطلقاتهم الفكرية والسياسية في النقاط الثلاثة التي حددها -كابلان وكريستول- في كتابهما المذكور آنفاً، وكذا الدكتور "بول" عضو الكونغرس في مقال له:^(١٧)

- ١- الحرب الاستباقية، عوضاً عن الردع.
 - ٢- وكذا تغيير الأنظمة السياسية ببلدان نختارها، بدل سياسة الاحتواء لها.
 - ٣- والقيادة بدل الالتباس؛ بمعنى التحكم بالعالم، وحكمه من دون إبقاء مجال للالتباس.
- وكذلك ذهب كل من ((ستيفان هالبر)) و ((جوناثان كلارك)) في كتابهما "التفرد الأمريكي- المحافظون الجدد والنظام العالمي"^(١٨) إلى أن المحافظين الجدد يجمعون اليوم حول ثلاث موضوعات مشتركة:-

^(١٧) انظر: الفضل شلق: عودة الاستعمار والحملة الأمريكية على العرب ، ص ٨٢ . طبعة دار النفائس ، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م بيروت.

-William Kristol, < Taking The War Beyond Terrorism,>

Washington Post, January 3,2002, A25.

^(١٨) ستيفان هالبر وجوناثان كلارك : التفرد الأمريكي - المحافظون الجدد والنظام العالمي، ص ٢٠-٢١ ، ترجمة عمر الأيوبي ، طبعة الكتاب العربي ، بيروت سنة ٢٠٠٥ م .

- ١- إيمان نسابع من اعتقاد ديني بأن الوضع الإنساني يغرف بأنه اختيار بين الخير والشر، وأن المقياس الحقيقي للشخصية السياسية يوجد في استعداد الخيرين أنفسهم لمواجهة الأشرار.
 - ٢- توكيد بأن المحدد الجوهرى للعلاقة بين الدول هو القوة العسكرية، والرغبة في استخدامها.
 - ٣- تركيز أساسى على الشرق الأوسط، والإسلام العالمى باعتبارهما يمثلان التهديد الرئيس للمصالح الأمريكية فى الخارج.
- وعند وضع هذه الموضوعات موضع التنفيذ، يعمد الحافظون الجدد إلى:-
- ١- تحليل القضايا الدولية من خلال تصنيفات أخلاقية مطلقة طبقاً لمبدأ الأسود والأبيض؛ وهم معززون باعتقادهم بأنهم هم وحدهم من يمتلك الأفضلية الأخلاقية، ويرون أن مخالفة ذلك تعادل الانهزامية.
 - ب- التركيز على القدرة الأحادية للولايات المتحدة، والنظر إلى استخدام القوة بمثابة الخيار الأول للسياسة الخارجية لا الأخير. وهم ينكرون دروس فيتنام، ويعتبرونها تقوض الإرادة الأمريكية لاستخدام القوة، ويعتقدون "دروس ميونيخ" ويفسرونها على أنها تثبت فضائل العمل العسكرى الاستباقي^(١٩).

(١٩) Wall Street << The Neo- Mc Governites>>Lawronce F. Kaplan
Journal, July8,2003, P.A16
<< A Grand Strategy of Transformation>>John Lewis Gaddis -
Foreign Pollicy, November-December2002. NSS.15.

ج- احتقار الوكالات الدبلوماسية التقليدية؛ مثل وزارات الخارجية، والتحليل التقليدي الواقعي والبراغماتي الخاص بالبلاد. وهم معادون للمؤسسات غير العسكرية المتعددة الأطراف، ومناوئون بالغريزة للمعاهدات والاتفاقيات الدولية.

وشعارهم هو "الأحادية العالمية". ويستمدون القوة من الانتقاد الدولي معتقدين بأنه يثبت الفضيلة الأمريكية.

د- التطلع إلى إدارة "ريغان" على أنها قدمت المثال النموذجي لكل هذه الفضائل، ولهم السعي إلى وضع نسختهم و رؤيتهم لتراث ريغان باعتبارها الطريق القويم الجمهوري الوطني.

واستناداً إلى هذه المعتقدات، يميل المحافظون الجدد إلى وضع أنفسهم في مواقف مواجهة:-

- مع العالم الإسلامي الآن، ولكن من يعلم مع من في المستقبل.
 - مع حلفاء أمريكا وأصدقائها الذين تحتاج إلى تعاونهم في الأمم المتحدة، وغيرها من المنظمات للوصول إلى الأهداف الأمريكية.
 - مع الصقور المعارضين للعجز في الميزانية الذين يلحون على تقييد الإنفاق التقديري.
 - مع المواطنين الأمريكيين الذين يخالفونهم الرأي، ولا يتفقون معهم في أهدافهم.
- وهناك كتاب آخرون، مثل الدكتور "بول" الذي حدد سياسة المحافظين الجدد على شكل يتضامن مع ما سبق ذكره ؛ يقول الدكتور بول في السياسة العامة للمحافظين الجدد، إنها تقوم على الرؤى العشر الآتية:-

- ١- أنهم يتفوقون مع تروتسكي في فكرته عن الثورة الدائمة.
- ٢- ويلتزمون بقوة بكتابات "ليو شتراوس".
- ٣- ولا يعارضون دولة الرعاية الاجتماعية، بل سيوسعونها لكسب الأصوات والسلطة.
- ٤- و يؤمنون بحكومة فيدرالية قوية.
- ٥- ويعتقدون أن بعض الحقائق يجب أن تبقى لدى النخب السياسية، بعيداً عن تناول الشعب.
- ٦- و يؤمنون بالحرب الإجهاضية، أو الاستباقية، وبالقوة العسكرية المجردة لتحقيق أهدافهم.
- ٧- وهم يؤيدون علناً فكرة إمبراطورية أمريكية، وينادون بالإمبريالية.
- ٨- ويسخرون من رأي القائلين: أن تبقى الولايات المتحدة محايدة في السياسة الخارجية.
- ٩- وهم مستعدون لإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط بالقوة، ويؤيدون إسرائيل وحزب الليكود تأييداً غير مشروط.
- ١٠- وينظرون إلى الحريات المدنية بعين الشك، ويحتقرون "الليبرتاريين" ويرفضون النقاش، على أسس دينية.

ونستخلص من هذه السياسة الخاصة بالمحافظين الجدد، أنهم بالرغم مما يعلنون بأن رسالتهم التي تدعو إلى الحرية و الديمقراطية وحقوق الإنسان هي رسالة تفاؤلية، فإن ذلك لا يعدو أن يكون أمراً خطابياً إلى حد كبير. فالعالم الذي يرى المحافظون الجدد أنفسهم فيه اليوم (عالم هوبزي)، تسوده البدائية والتأمر وتشكل فيه المنافسة العسكرية الدائمة من أجل السيطرة المعيار الأول، ويستحيل فيه الاعتدال بين مجتمع الأمم.

ونتيجة لهذه الثقافة الخاصة بالمحافظين الجدد القائمة على سياسة القوة نشأ العنف في الجانب الآخر، أو قل المواجهة، ضد ثقافة المحافظين وسياساتهم، وكان

الحال يقول: إن للمحافظين الجدد حريتهم في استخدام القوة لشن الحرب من أجل استلاب حرية الآخرين، ولشعوب الأرض حريتها في المقاومة دفاعاً عن نفسها، لهم حريتهم في الحرب، واستخدام القوة العسكرية، ولنا حريتنا، بل واجبنا متمثل في المقاومة والنضال. أليس هذا هو باختصار حال العالم اليوم؟

أصول الحركة المسيحية الصهيونية:-

إذا تتبعنا أصول الحركة المسيحية الصهيونية، التي أوردنا بعض تجلياتها فيما سبق، فإننا نجد منذ فجر التاريخ الأمريكي، وبتأثير البروتستانتية البيوريتانية "التطهيرية" ثم الإيفانجيلية الأصولية، ظل الاعتقاد ببعث الدولة اليهودية قبل المجيء الثاني للمسيح يشكل جزءاً محورياً في الفكر الأمريكي؛ وهذا يبين لنا أن ديانة الأمريكيين ديانة مركبة من اليهودية المسيحية **Judeo Christian** تقوم على توافق التقاليد الأخلاقية والدينية لليهودية والمسيحية، الذي ترجم إلى معنى سياسي هو إتحاد القيم الأمريكية والإسرائيلية.

وتفسير تدين أمريكا وتهودها مرتبط بنشأتها، حيث إن "المهاجرين الأوائل اعتبروا أمريكا هي (أورشليم الجديدة) أو كنعان الجديدة، وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء حين فروا من ظلم فرعون (الملك الإنجليزي جيمس الأول)، وهربوا من أرض مصر (انجلترا)، بحثاً عن أرض الميعاد الجديدة.. وبالمشابهة أصبحت مطاردة المهاجرين البروتستانت للهونود الحمر في العالم الجديد (أمريكا) مثل مطاردة العبرانيين القدماء للكنعانيين في فلسطين.

لقد كان تحويل العالم الجديد إلى إسرائيل جديدة، هو أساس مشروع المستوطنين البرتستانت البيوريتانيين الأوائل. فطالما حلموا في إنجلترا بتطبيق شريعة التوراة، ولما

جاءوا إلى أمريكا حلموا بدولة تحكمها أحكام الرب^(٢٠)، حتى إن المؤرخ "جون فيسك" قال: حيث ترى تاريخاً يصنع في أمريكا، تجد تاريخاً أمريكياً يهودياً^(٢١).

غير إن تهويد (المسيحية الأمريكية) يرجع في الأصل إلى (المسيحية اليهودية) التي توارت مع ظهور القديس "بولس" المؤسس الثاني للمسيحية بعد يسوع، ولكنها عاودت الظهور والنمو في فترة الإصلاح والنهضة في أوروبا، ولعبت دوراً مهماً بعد الاسترداد المسيحي لأسبانيا من خلال اليهود المتحولين إلى المسيحية؛ (يهود المارانو) ومع بداية القرن السادس عشر، قاد تأثير المسيحية اليهودية إلى انتشار فكر الألفية ((نسبة إلى الألف عام التي تسبق أو تلحق بمجيء المسيح)) بتفسيرات جديدة لسفر دانيال ((العهد القديم))، ورؤيا يوحنا ((العهد الجديد)).

أما الانطلاقة الكبرى للمسيحية اليهودية فقد ارتبطت بحركة الإصلاح البروتستانتي في القرن السابع عشر، إذ غالى البيوريتانيون في إجلال العهد القديم، وطالبوا الحكومة البريطانية بأن تعلن التوراة دستوراً للبلاد، واستعاضوا بالعادات اليهودية عن المسيحية، بل إن بعضهم كان يلهج بالعبرية في الصلاة وتلاوة الكتاب المقدس^(٢٢).

وهكذا كانت المسيحية التي دخلت أمريكا مع المهاجرين الأوائل مسيحية يهودية، بل أن المسيح يسوع الناصري رأس الديانة المسيحية أصبح مسيحياً يهودياً.. ومع حلول القرن الثامن عشر أصبح الاعتقاد ((بالبعث اليهودي)) في فلسطين يشكل جانباً مهماً من اللاهوت البروتستانتي الأمريكي، حيث احتلت معتقدات المسيح المنتظر والعصر الألفي السعيد مكاناً بارزاً.

(20) رضا هلال : المسيح اليهودي ونهاية العالم ، ص ٤٢ .

(21) رضا هلال : تفكيك أمريكا ، ص ٧١ ، الطبعة الإعلامية للنشر ، سنة ١٩٩٨ م ، القاهرة .

(22) رضا هلال : المسيح اليهودي ونهاية العالم ، ص ٤٤ .

وبدخول أمريكا الصحوة الدينية العظمى في أربعينيات القرن التاسع عشر انبثقت عن المسيحية اليهودية مسيحية صهيونية رفدت الثقافة والسياسة في الولايات المتحدة باعتقاد الالتزام بإقامة إسرائيل ((بعث اليهود)) والاحتياز لهم، كالتزام لاهوتي وثقافي ثم سياسي، وبذلك سبقت الصهيونية والأمريكية -صهيونية هرتزل اليهودية بعقود. وذلك ما يفسر دعم أمريكا لقيام إسرائيل عام ١٩٤٨م ثم الاحتياز الأمريكي لإسرائيل بعد ذلك؛ فهو انحياز لاهوتي وثقافي متغلغل في التفكير الأمريكي والسياسة الأمريكية من قبل ظهور الصهيونية اليهودية، ومن قبل ظهور ((اللوبي اليهودي)) الذي ما كان ليتضخم تأثيره دون استناده إلى المشاعر المسيحية الصهيونية لدى الأمريكيين))^(٢٣).

وقد تألفت في بدايات عام ١٩٦٧ م هيئات دينية من اليهود ، ومن بعض الإنجليز المتصهينين الخارجين عن الإطار العام للكنيسة الإنجيلية- متخصصة في جميع الأموال اللازمة لتمويل بناء المعبد، وفي عام ١٩٨٠م عندما أعلنت إسرائيل ضم القدس الشرقية وتهويدها، كما أعلنتها ((عاصمة أبدية موحدة)). ونقلت ثلاث عشرة دولة مقار سفاراتها من القدس الغربية إلى تل أبيب التزاما منها بقرارات الأمم المتحدة.

احتجاجاً على هذا القرار فإنه ((ردا على هذا الإجراء تداعى أكثر من ألف شخصية دينية أمريكية من الكنائس الإنجيلية المتطرفة إلى عقد مؤتمر تضامني مع إسرائيل، واختاروا القدس مكانا له، أسفر ذلك المؤتمر الذي عقد في شهر سبتمبر ١٩٨٥م برئاسة الدكتور "دوغلاس يونغ" مدير ((المعهد الأمريكي لدراسات الأرض المقدسة)) عن تأسيس هيئة جديدة تحت اسم ((السفارة المسيحية الدولية))^(٢٤).

⁽²³⁾ نفس المصدر ، ص ٤٤-٤٥ ، وانظر أيضاً الفضل شلق : عودة الاستعمار والحملة الأمريكية على العرب ، ص ٩٩ .

⁽²⁴⁾ محمد السماك : الاستغلال الديني في الصراع السياسي ، ص ٤٢ ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م ، طبعة دار النفائس ، بيروت.

فقد شهدت الولايات المتحدة ابتداء من عام ١٩٧٦م بروز المسيحية السياسية و الأصولية أو ما اصطلح على تسميته ((اليمين المسيحي)) إذ تحول الآلاف من الشباب إلى مسيحيين، كأنما ولدوا ثانية وأظهرت استطلاعات ((جالوب)) أن ما بين خمس وثلث الأمريكيين مارسوا العمادة من جديد، وتزايد أتباع الكنائس المتشددة، وتأسست الشبكات الدينية التلفزيونية ((الكنائس التلفزيونية)) وقد ارتبط صعود المسيحية السياسية والأصولية بصعود المسيحية الصهيونية، وخصوصا بعد انتصار إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧م واحتلالها القدس؛ وهو الأمر الذي اعتبرته المسيحية الصهيونية الأمريكية تأكيدا لصحة نبوءات التوراة وإعلانا عن قرب مجيء المسيح.

وأصبحت للمسيحية الصهيونية منظماتها التي استخدمت وسائل جماعات الضغط ((اللوبي)) للتأثير على الرأي العام والكونجرس الأمريكي بهدف تأكيد شرعية دولة إسرائيل، ودعما اقتصاديا وعسكريا وسياسيا كالتزام لاهوتي وأخلاقي أمريكي، وتهويد القدس باعتبارها المدينة التي سيحكم المسيح العالم منها لدى مجيئه. وتوالى صعود اليمين المسيحي في الثمانينات والتسعينات حتى أصبح قوة تصويتية مؤثرة في انتخابات الرئاسة والكونجرس، إذ أصبح يستحوذ على ٢٥% من القاعدة التصويتية في الولايات المتحدة ((أي حوالي عشرة أضعاف الأصوات اليهودية)) وفي طريقه إلى السيطرة على المسرح السياسي الأمريكي؛ تحالف اليمين المسيحي مع اليمين السياسي في الحزب الجمهوري، ليشكل ما أصبح يعرف باسم ((حزب الله)) وتزامن مع تزايد دور اليمين المسيحي الذي شمل أيضا الكاثوليك الأمريكيين، إلى جانب البروتستانت، إلى أن أصبحت ((اليهوميحية)) صفة لأمريكا لاهوتيا وأخلاقيا وثقافيا وسياسيا.^(٢٥)

وهذا الاتجاه الإنجيلي الصهيوني يؤمن بما يسميه (العودة الثانية للمسيح) ، وبأن هذه العودة هي التي ستنقذ الإنسانية ليعم الإيمان المسيحي العالم كله مدة ألف عام ،

(25) رضا هلال : المسيح اليهودي ونهاية العالم ، ص ٤٥

وهو ما يسمونه بالألفية، تقوم بعدها القيامة، وتعتقد الصهيونية المسيحية أن ثلاثة إشارات يجب أن تسبق عودة المسيح:^(٢٦)

الإشارة الأولى: هي قيام صهيون (إسرائيل) وقد قامت إسرائيل في العام ١٩٤٨م ولذلك اعتبر الصهاينة المسيحيون في الولايات المتحدة هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ الحديث، لأنه جاء مصدقا للنبوة الدينية التي تقول: بأن صهيون يجب أن تعود حتى يعود المسيح؛ فالمسيح لا يظهر إلا بين اليهود، ولذلك لابد من المساعدة على تجميعهم كشرط للظهور الثاني للمسيح.

الإشارة الثانية: هي تهويد مدينة القدس؛ ولقد احتلت إسرائيل القدس في عام ١٩٦٧م، ويعتقد الإنجيليون الصهاينة أنها المدينة التي سيمارس المسيح منها حكم العالم بعد قدومه الثاني المنتظر، ولذلك تضغط الكنائس الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة من أجل الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، ولقد تجاوب الكونجرس بمجلسيه الشيوخ والنواب مع هذه الضغوط في ابريل ١٩٩٠م وقرر نقل السفارة الأمريكية إليها من تل أبيب على إن يتم ذلك في عام ١٩٩٩م، كما سلفت الإشارة.

الإشارة الثالثة: هي إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى؛ ويؤمن أتباع الكنيسة الصهيونية المسيحية انه بعد اكتمال المشروع ستقع معركة ((هرمجدون)) المدمرة التي يظهر المسيح فوقها مباشرة،

(26) محمد السماك : الاستغلال الديني في الصراع السياسي ، ص ٤٢ .

وسيجتذب إليه بالجسد المؤمنين به ليحكم العالم من القدس مدة ألف عام، تقوم بعدها القيامة.

وبجانب هذا هناك مشترك إيماني بين الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية؛ وهو ((تنفيذ وعد الله لبني إسرائيل، ليس فقط بإقامة دولة يهودية، وإنما بإقامة هذه الدولة على كل الأرض الموعودة)). ولذلك فإن احد ابرز قادة الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة القس "جيرري فولويل" يقول: إنني مع كوني سعيدا لعودة اليهود إلى فلسطين، ولقيام إسرائيل فإنني اشعر أن اليهود لم ينجزوا مهمتهم تماما بعد، إن على اليهود اليوم استرجاع كل الأرض التي أعطها الله للعبرانيين؛ أي أن على اليهود أن يملكوا كل الأرض التي منحهم الله قبل عودة المسيح، وكشرط مسبق لهذه العودة، وأن على العرب مغادرة هذه الأرض، لأن الأرض تخص اليهود.

الله أعطى كل هذه الأرض لليهود^(٢٧):

وفكرة اقتراح إقامة دولة يهودية في فلسطين، ودخول المسجد الأقصى لم تكن وليدة اليوم، لكنها تضرب في القدم، نتبين ذلك عندما تقرأ نص نداء نابليون عندما وقف بجيوشه أمام أبواب عكا سنة ١٧٩٩م، وفي هذا النداء يقول نابليون مخاطبا اليهود، وهو يحثهم على القتال تحت لوائه لإعادة أرضهم: ((من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في أفريقيا واسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين؛ أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذين لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومي، وان كانت قد سلبتهم ارض الأجداد فقط. إن مراقبي مصائر الشعوب الواعين المحايدين، وان لم تكن لهم مواهب الأنبياء، مثل أشعيا و يوثيل، قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع.

(27) محمد السماك : الاستغلال الديني في الصراع السياسي ، ص ٥٥

أدركوا أن عتقاء الله ((سيعودون إلى صهيون، وهم يغنون، وسيولد الابتهاج بتملكهم لإرثهم دون إزعاج فرحاً في نفوسهم))^{٢٨}.

إن فرنسا تقدم لكم إرث إسرائيل في هذا الوقت بالذات؛ إن جيشي الذي أرسلتني العناية الإلهية به، والذي تقوده العدالة ويواكبه النصر جعل القدس مقراً لقيادتي.

يا ورثة فلسطين الشرعيين؛ إن الأمة التي لا تتاجر بالرجال و الأوطان ((فرنسا))، كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادهم لجميع الشعوب، تدعوكم لا للاستيلاء على إرثكم، بل لأخذ ما تم ضمه، والاحتفاظ به بضمائها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

سارعوا إن هذه هي اللحظة المناسبة، التي قد لا تتكرر لآلاف السنين، وهي وجودكم السياسي كأمة بين الأمم وحقكم الطبيعي المطلق في عبادة يهو، طبقاً لعقيدتكم، علناً وإلى الأبد))^(٢٩).

لكن هزيمته في عكا ١٧٩٩م قضت على حلمه السياسي والصهيوني..

والهدف من وراء هذه العودة كان إقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى..

وعلى الرغم من أن كل عمليات التنقيب عن الآثار التي قامت بها إسرائيل منذ احتلال مدينة القدس في عام ١٩٦٧م لم تقدم دليلاً واحداً على أن المسجد الأقصى بني على أنقاض الهيكل، فإن الإصرار على تهديم المسجد الأقصى يشكل أولوية دينية في العقيدة الصهيونية اليهودية منها، والمسيحية الصهيونية على حد سواء.

(28) إشعيا : سفر ٣٥ = ١٠

(29) سفر يونس : ٢١ : ٣.

إن قبّة الصخرة التي بناها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في عام ٦٨٥م هدفها الوحيد حماية الصخرة التي يعتبرها المسلمون مسرى النبي صلى الله عليه وسلم، ومعراجه إلى السماء.

والقصد من وراء تهديم المسجد الأقصى وقبة الصخرة مقصود في ذاته إلى إثارة مسلمي العالم ضد إسرائيل وهجومهم عليها، الذي هو أحد مستلزمات وقوع معركة ((هرمجدون)) التي تسبق في عقيدتهم بالضرورة العودة الثانية للمسيح التي تنتظرها المسيحية الصهيونية))^(٣٠).



(30) محمد السماك : الاستغلال الديني في الصراع السياسي ، ص ٤٩ .

الأسس اللاهوتية للصهيونية المسيحية

من المنطلقات الأساسية في بنية الصهيونية المسيحية التسليم بأنها مبنية على طريقة مستحدثة لتفسير الكتاب المقدس، حيث يتم تفسير الكتاب المقدس وفهمه واستيعابه بشكل حرفي مفرط. ويختلف هذا الأسلوب التفسيري عن الطريقة التقليدية التفسيرية البروتستانتية، والتي مع أنها مبنية أيضا على التفسير الحرفي، إلا أنها تبدأ عملية التفسير بالنظر إلى ظروف الكاتب، وظروف من استلموا النص، كما أنها تأخذ في اعتبارها السياق اللغوي والثقافي واللاهوتي والتاريخي.

ويُرجع المؤرخون هذا الأسلوب الحرفي لتفسير الكتاب المقدس إلى بداية القرن التاسع عشر. وخاصة في كتابات ((هاتلي فريدي)) و ((جورج فاير)) و ((لويس وي)) و ((ادوارد آرفنك)) والذين حضروا مؤتمرات ((ألبيري)) منذ عام ١٨٢٦م.^{٣١}

روج ((جون نلسون داربي)) فيما بعد لهذه الطريقة الحرفية في تفسير الكتاب المقدس بشكل أوضح يعتمد على المستقبل و((العقيدة التدبيرية)). وقد لخص هذه الطريقة في عبارة واحدة عندما اعترف قائلا: ((أفضل أن اقتبس فقرات كثيرة من الكتاب المقدس بدلا من التوسع في معناها)) وبناءً على التزامه بالحرفية، صاغ ((داربي)) عقيدة التدبيرية، والتميز القوي بين إسرائيل والكنيسة، وهذا ما يشكل أساسا للكثير من عقيدة الصهيونية المسيحية المعاصرة.

سنجد أن ((داربي)) لم يكن أول من اكتشف أو قال بهذه الفترات التدبيرية ضمن تاريخ الكتاب المقدس؛ وقبل نشوء ((التدبيرية)) كان المعتاد في الفكر المسيحي تقسيم التاريخ إلى فترتين تدبيريتين أو ثلاث، غير أننا نجد في الوقت ذاته أن هناك من المسيحيين المميزين مثل ((جوناثان ادواردز)) من أعلن عدم وجود إجماع حتى على

(٣١) ستيفن سايزر: الصهيونيون المسيحيون على الطريق إلى هرميجدون، ص ٦٠.

التمييز بين العهد القديم والجديد، وقال: قد لا يوجد تعقيد ولا اختلاف أكبر في العلم الإلهي أكثر من ذكر الاتفاق والفرق الدقيقين بين الفترتين التدبيريتين بين موسى والمسيح^(٣٢).

وإذا تتبعنا الفترات فنجد أن "جورج فاير" في عام ١٨٢٧م ميز بين ثلاث مراحل في معاملات الله المبنية على ((النعمة)) مع الإنسان، وهذه المراحل هي: - فترة الآباء، و اللاويين، والفترة المسيحية، غير أن نظريته إلى هذه المراحل مغايرة لنظرة "داربي" حيث إنه لم يعتبر هذه المراحل الثلاث متتابعة، ولا أي منها على أنها علاج لفشل المرحلة السابقة لها.

برر "داربي" مشروعه التدبيري الذي نادى به على أساس أن الآخرين لم يدرسوا الكتاب المقدس بشكل صحيح، وأن تفسيره ومشروعه التدبيري صحيح، لأن الله أعلنه له شخصياً. وكذلك جاء "سكوفيلد" بمشروعه التدبيري الذي اعتمد فيه بشكل كبير على كتابات "داربي" وادعى أن العقيدة التدبيرية تعطي الكتاب المقدس انسجاماً واضحاً ومتناسقاً لأجزائه المتعلقة بالتنبؤات^(٣٣). وهذا ما أكد عليه بقوله: ((إن الفترات التدبيرية المتميزة، وتظهر حلال النظام التدرجي لتعامل الله مع الإنسانية؛ أنها الهدف المتدرج الموجود في كل الكتاب المقدس، والذي يربط الأزمنة بعضها مع بعض، منذ بداية حياة الإنسان إلى نهاية الأبدية.

وهذه الفترات التدبيرية بمقارنتها كما وردت في نسخة الكتاب المقدس المرجعي الخاصة بسكوفيلد، والنسخ اللاحقة تبين أنها ليست على شكل واحد وواضح، والجدول الآتي يوضح لنا هذا الاختلاف:-

(32) ستيفن سايزر : الصهيونيون المسيحيون ، ص ٦١ .

(33) نفس المصدر السابق ، ص ٦٤ .

الكتاب المقدس لسكوفيلد ١٩١٧م	النسخة الجديدة للكتاب المقدس الخاصة بدراسة اسكوفيلد ١٩٨٤م
١- النقاوة ((تكوين ١:٢٨))	١- النقاوة ((تكوين ١:٢٨))
٢- الضمير ((تكوين ٣:٢٣))	٢- الضمير أو المسؤولية الأخلاقية ((تكوين ٣:٧))
٣- الحكومة الإنسانية ((تكوين ٨:٢٠))	٣- الحكومة الإنسانية ((تكوين ٨:١٥))
٤- الوعد ((تكوين ١٢:١))	٤- الوعد ((تكوين ١٢:١))
٥- الشريعة ((خروج ٩:٨))	٥- الشريعة ((١:١٩))
٦- النعمة ((يوحنا ١:١٧))	٦- الكنيسة ((اعمال ٢:١))
٧- الملكوت أو ملء الزمان ((امسس ١:١٠))	٧- الملكوت ((رؤيا ٢٠:٤))

عقيدة شعب الله المختار:

يؤمن الصهيوونيون المسيحيون بناء على قراءتهم الحرفية للعهد القديم بأن، اليهود سيبقون ((شعب الله المختار))، وأنهم يتمتعون بعلاقة فريدة معه، وبمكانة فريدة أمامه، وبأهداف أبدية ضمن أرضهم الخاصة بهم. وبهذا ينظرون إلى الوعود التي أعطيت إلى إبراهيم على أنها صادقة وحقيقية إلى يومنا هذا بالنسبة إلى الأتسال الجسديين لإسحق ويعقوب ويوسف.

ويصر الأصدقاء المسيحيون لإسرائيل. بناء على فقرات من الكتاب المقدس، مثل تكوين الإصحاح المقدس ١٥، على أن ((الكتاب المقدس يعلم بأن إسرائيل ((الشعب، الأرض، والأمة)) لها مستقبل مجيد مرسوم بطريقة إلهية، وان الله لم يرفض شعبه اليهودي ولا استبدله بشعب آخر)).

وفي مقارنة اليهود بالكنيسة نجد "داربي" يؤكد أن اليهود لا يزالون شعب الله المختار، وان الكنيسة هي مرحلة اعتراضية ((بالنسبة لخطط الله المستقبلية لليهود))^(٣٤)، وان الافتراض الذي تتضمنه هذه الفكرة هو أن اليهود لا يزالون يتمتعون بعلاقة خاصة مع الله مبنية على العهد بدون أن تكون هذه العلاقة من خلال المسيح.

وهذه الفكرة -فكرة شعب الله المختار- تخالف جذريا ما قاله يسوع نفسه، وما قاله يوحنا المعمدان من عبارات صريحة ومناقضة لفكرة شعب الله المختار، ولوقا في نصه يقول: ((فأصغوا أثمارا تليق بالتوبة ولا تبتدونوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أبا، لأنني أقول لكم أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم، والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة. فكل شجرة لا توضع ثمرأ جيداً تقطع وتلقى بالنار)).^(٣٥)

(34) ستيفن سايزر: الصهيوونيون المسيحيون على الطريق إلى هـ. ميجدون، ص ٧٤-٧٥.

(35) لوقا: ١٣: ٨-٩.

وحذر بطرس مستمعيه اليهود مباشرة بعد يوم الخميس انه إذا ما استمروا في رفض الاعتراف بيسوع كمسيحاً لهم، فإنهم لن يكونوا فيما بعد. ((شعب الله))؛ ((ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب))^(٣٦).

إن تبرأ يسوع والرسول من الفكرة القائلة أن اليهود لا يزالون يتمتعون بمركز خاص أو علاقة خاصة بالله بدون الإيمان بيسوع كمسيحاً؛ وعجز الصهيونيون المسيحيون عن استيعاب أن "الاختيار" في الكتاب المقدس أن المقصود منه عطية نعمة الله في يسوع لكل الذين يؤمنون ويثقون به بغض النظر عن أصولهم العرقية: وعليه لم يعد المناسب فيما بعد أن يطلق على اليهود لقب شعب الله المختار، وهذا الإصطلاح في تعريفه يصف كل الذين يؤمنون ويثقون بالمسيح.

إعادة اليهود إلى أرض إسرائيل:

وفي جانب آخر يصر الصهيونيون المسيحيون على أن الوعود التي أعطيت إلى إبراهيم و إسحق ويعقوب لا تزال سارية بطريقة غير مشروطة وأبدية على أحفادهم الجسديين. وينظرون إلى دولة إسرائيل المعاصرة على أنها دليل لحماية الله المتواصلة وفضله نحو اليهود. وتبعاً لتفسير أرنولد خروتشنتيوم، فإن المدى الجغرافي لأرض إسرائيل غير قابل للتفاوض ويمتد من مصر إلى العراق.

وهذا ما أكد عليه أرنولد قروتشنتيوم بقوله: ((لم يمتلك اليهود أبداً في كل تاريخهم كل الأرض من الفرات في الشمال إلى نهر مصر في الجنوب، وطالما أن الله لا يكذب، فإن هذه الأمور يجب أن تحدث وتتحقق))^(٣٧).

⁽³⁶⁾ أعمال الرسل : ٣ : ٢٣ .

⁽³⁷⁾ الصهيونيون المسيحيون ، ص٧٧

واستند أرنولد قروتشتنوم في قوله هذا على قراءته الحرفية لتكوين: ١٨:٥ (في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)).

القدس :-

يعتقد الصهيونيون المسيحيون أن القدس أو صهيون كما يسمونه، - وكما أكدت (مارغريت بيرلي) - ((هي المكان الذي اختار الرب أن يضع اسمه فيه)) وعليه فإن الصهيونيين المسيحيين مازالوا يعملون على تأكيد أن القدس عاصمة إسرائيل.

إذا كان في كل هذه القضايا من أمر مثير للاستغراب، فإن مرده ثقافة القادة المحافظين الجدد إلى جوار رجال الدين والسياسيين والدبلوماسيين والعسكريين الإنجيليين المتصهينين الذين يبنون عقيدتهم على عقيدة أن دعم إسرائيل ومساعدتها هو تنفيذ لإرادة الله، وأن لا بد من تمهيد الأرض للعودة الثانية للمسيح.

غير أنه ينبغي أن لا نتغافل عن أنه إذا كانت تلك هي عقيدة غالبية المحافظين الجدد في الإدارة الأمريكية، فإن هناك على الطرف الآخر في الولايات المتحدة شخصيات دبلوماسية ومتقنين ومفكرين لا يؤيدون المحافظين الجدد في عقيدتهم ولا في سياستهم الخارجية، وكلنا قد سمع وقرأ عن عريضة الدبلوماسيين الأمريكيين الذين بلغ عددهم ألفاً وخمسمائة شخصاً، واحتجوا فيه على سياسة بوش وأدائه في تعامله مع القضية الفلسطينية وغيرها.

وأيضاً هاجم الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون سياسة بوش والقادة المحافظين الجدد بقسوة، مؤكداً أنها قسمت العالم، وابتعدت عن حلفائها، وأهدرت تعاطف العالم مع أمريكا التي حظيت به بعد هجمات سبتمبر، وأضاف الرئيس أنه بدلا

من البحث عن أسامة بن لادن زعيم القاعدة، بدأت الإدارة في العمل من أجل الإطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين، دون وجود سبب حقيقي لذلك.

وكانت هذه الخطوة -حسب ما قاله كلينتون في المنتدى العالمي للاقتصاد في نيويورك- هي التي أدت إلى ابتعاد حلفاء أمريكا، وإيجاد وهم كاذب لدى الأمريكيين عن علاقة غير موجودة بين الرئيس العراقي المخلوع، وهجمات سبتمبر.

وأشار كلينتون إلى مدى التعاطف الذي حظي به الأمريكيون بعد هذه الهجمات في أنحاء العالم.. وأكد أن الإدارة الأمريكية قسمت العالم من أجل تحقيق وجهة نظرها. وقال كلينتون إن الإدارة الأمريكية قامت بذلك - أي بالحرب على العراق - دون وجود أية مؤثرات على وجود خطر حقيقي، لكن ذلك هو ما تريد الإدارة الأمريكية القيام به. وقال كلينتون أيضا في خطابه ذاك أمام ٤ آلاف شخص يحضرون المنتدى العالمي للاقتصاد إن إدارة بوش استفزت الحلفاء التقليديين للولايات المتحدة عندما تجاهلت ورفضت التوقيع على اتفاقية حظر الاختبارات النووية، وانسحبت من المحكمة الدولية بالإضافة إلى الاتفاقيات الخاصة بخفض نسبة الغازات الملوثة للبيئة، وأشار الرئيس السابق كلينتون إلى أن هذا الموقف عاد ليصبح هاجسا لإدارة بوش عندما احتاجت إلى دعم دولي في بعض الموضوعات حيث كان حلفاء أمريكا قد أشاحوا بوجوههم عنها. (٣٨)

أما المسيحيون العرب في الشرق فقد دفعوا ثمن الحركة المسيحية الصهيونية، حيث انعكس ذلك على علاقات المسلمين بالمسيحيين في عدة أقطار شرقية في صور العنف، والعنف المقابل.

(38) نشر في جريدة الأهرام المصرية، العدد ٤٢٨٩٢ للسنة ١٣/١٢٨ مايو ٢٠٠٤، ص ٤.

صدر عن مجلس كنائس الشرق الأوسط بيان في شهر أبريل ١٩٨٦م تحدث عن دور الحركة الإنجيلية الغربية الجديدة، فقال: "تعتبرنا مخاوف من أن بعض هذه المجموعات تحدث أثراً انقسامياً، فبعضها لا يعترف للكنائس في الشرق الأوسط بتاريخها، ورسالتها الخاصة، وبعضها الآخر يصر على زرع رؤية لاهوتية غريبة إلى ثقافتنا".^(٣٩)

وجاء بيان المجلس^(٤٠) أيضاً أن ((هذه الحركات البروتستانتية تحاول أن تجعل المسيحية والتبشير بالإنجيل والحضارة مرادفة للحضارة الأوروبية الأمريكية، حتى أن بعضهم كان يؤمن أنه لم توجد في الشرق الأوسط كنيسة حقيقية، حتى كادوا ينكرون أن المسيحية والتوراة جاءتهم من الشرق الأوسط)).



⁽³⁹⁾ محمد السماك: الصهيونية المسيحية، ص ١٦٠-١٦١.

⁽⁴⁰⁾ المصدر السابق، ص ١٦١.

المبحث الثاني

البعد الثقافي لظاهرة العنف عند الأصوليين الإسلاميين

يحاول الإعلام الغربي جاهدا منذ مطلع التسعينات تصنيف المسلمين جميعاً على أنهم أبناء ثقافة الجريمة والإرهاب، وفي الوقت نفسه يسعى أن يجعل من الأصولية مرادفاً للإسلام، وان يجعل من الإسلام مرادفاً لكل ما هو بشع؛ من التعصب والعنف، والتطرف، والجهل، والتخلف الديني، كما يحاول أن يجعل من عبارة الأصولية مفتاحاً لفهم الإسلام)) لدى الغربيين.⁽⁴¹⁾

وفي العالم الإسلامي فإن المشاعر التي ولدتها الكوارث السياسية والعسكرية، بعد التحرر من الاستعمار، تركت بصماتها عميقة في بنية المجتمعات العربية الإسلامية.. من الهزيمة العربية في فلسطين ١٩٤٨م إلى هزيمة ١٩٦٧م على يد إسرائيل، حتى الهزيمة الباكستانية في عام ١٩٧١م على يد الهند.

وقد جرى التعامل مع سلسلة النكسات والنكبات العربية والإسلامية بما خلفته من مشاعر بالمهانة والدونية على أنها دليل عملي على إفلاس الأنظمة المدنية الحديثة. التي استعيرت على النمط الغربي؛ ولذا شهد العالم الإسلامي سلسلة طويلة من الانقلابات العسكرية والديكتاتوريات، كما شهد نتائج محزنة من الفساد الإداري والمراهقة السياسية، إضافة إلى ذلك أدى سوء توزيع الثروة، وفشل مشاريع التعاون

(41) محمد السماك : الاستغلال الديني في الصراع السياسي -. انجمار كالرسون : الإسلام وأوروبا ، تعايش أم مجابهة ، ترجمة سمير يوناني ، ص ٣٩، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣ م مطبعة مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة .

والتنسويق إلى تمكين الشركات المتعددة الجنسيات من الهيمنة على مقدرات دول العالم الإسلامي وإمكاناتها)).^(٤٢)

في ظل هذه التداعيات والمعطيات العالمية والإقليمية أخذت ثقافة أبناء الأمة الإسلامية في بنية فكرها الإسلامي تأخذ ثلاث صور:-

الصورة الأولى: متمثلة فيمن كانت ثقافتهم إسلامية دينية عقلانية، متفهمة لمبادئ الدين الإسلامي، آخذة بقيمه ومبادئه الصحيحة، ساعية إلى تأكيد ضرورة تطبيق العدالة، والحق في جميع صورته، وتأكيد أن الديمقراطية والحرية سبيلان أوليان للتقدم والنمو، وتبوء مكانة حضارية بين الأمم، إلى التأكيد على العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والعمل على الاهتمام بالعلم والتصنيع وغيره من وسائل النهوض الاقتصادي والاجتماعي.

فمن كانت هذه ثقافته فقد حمى وحصن نفسه من الوقوع في مسلك العنف والسير على نهجه.

والصورة الثانية: متمثلة في ثقافة رأت أن الخلاص في الحداثة والمعاصرة، وربطه بالطابع الغربي القائم على فصل الدين عن الدنيا.

والصورة الثالثة: رأت بثقافتها أن سبب نكساتنا كامنة في أننا قد ارتكبنا أخطاء كثيرة، وإن بسبب هذه الأخطاء فإن الله قد تخلى عنا، وإذا أردنا الخير والصلاح لنا ولأمتنا فما علينا إلا أن نرجع إلى الله سبحانه وتعالى.

(42) المصدر السابق ص ، الحركات الإسلامية في مصر ، ص ٦١ ، المؤسسة الإسلامية للنشر ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، وانظر أيضاً د. عبدالله النفيسي : الحركات الإسلامية (ثغرات على الطريق) ، ص ١٤ وما بعد .

وهذه الصورة، أو الحركة قد انطلقت في السبعينيات قبيل حرب رمضان ١٩٧٣م. وأطلق على هذه الحركة بأسم ((الأصولية الإسلامية)). واستخدام عبارة الأصولية الإسلامية هنا هو استخدام سياسي، وليس استخداماً دينياً، بمعنى أن الأصولية حركة سياسية تعمل تحت مظلة إسلامية.

وسنبين فيما بعد الميادين الثلاثة التي وجدت فيها الأصولية الإسلامية السياسية منبعاً ومصدراً لإخراج الكوامن النفسية المتأصلة والمبنية على نهج الجهاد بعد الإيمان، الذي ينظر إليه من قبل المنظرين الإسلاميين وغيرهم أنه منهج غير مبرر، وسمته الوحيدة انه يقوم على العنف.

وهذه الثقافة أو الإعتقاد أفضلية الجهاد بعد الإيمان بالله تعالى عند الأصولية الإسلامية -مبنية على آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأحكام فقهية ترى أن الجوارح في المسجد الحرام وعمارته لا يمكن أن تقاس بالجهاد في سبيل الله ، كما يستفاد من قوله تعالى : " أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢) ((٢٣))

وهم يرون أن آية السيف التي نسخت قبلها نيفاً وعشرين آية _ أو أربعين آية بعد المائة من الآيات هي الرد الحاسم، والجواب الجازم لكل من أراد أن يتلاعب بآيات

(43) سورة التوبة الآية : ٢٢-١٩

القتال في سبيل الله، أو يتجرأ على محكمها بتأويل، أو يصرفها عن ظاهرها القاطع الدلالة، والقطعي الثبوت.

وآية السيف تقول: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (٤٤) ، وتساندها آية أخرى هي (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْضَرُواهُمْ وَأَقْعُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَبِمَا تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٥) (٤٥).

والآية تأمر -حسب فهمهم لها- بقتل المشركين حيث وجدوا في أي مكان من العالم ، وبأسر من لم يقتل منهم ويحصرهم ، وتضييق الخناق عليهم (٤٦) وهي وأمثالها تقتضي إطلاق قتل الكفار، قاتلوا أو لم يقاتلوا.

وهؤلاء يعتقدون أن الآيات التي تعلن مبدأ السلام، والآيات التي تضمن حرية المعتقد للآخرين ، و الآيات التي تدعو إلى الرفق والدعوة بالحسنى والحكمة على أنها قد نسخت بآية السيف. ومن هذه الآيات التي يرون أنها نسخت بآية السيف، قوله تعالى: ((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا)) (٤٧) وقوله تعالى: ((وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)) (٤٨) وقوله تعالى: ((إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) (٤٩) وقوله تعالى: (لا إكراه في الدين) (٥٠).

(44) سورة التوبة: الآية ٣٦

(45) سورة التوبة: الآية (٥)

(46) انظر: د/ مصطفى زيد ، النسخ في القرآن، ج ١، ص ٥٠٤

(47) سورة البقرة: الآية (١٩٠)

(48) سورة الأنعام: الآية (١٠٨)

(49) سورة النساء الآية (٩٠)

(50) سورة البقرة الآية: (٢٥٦)

وقوله تعالى (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)^(٥١)، وقوله سبحانه: ((لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسيطرٍ)^(٥٢)، وقوله عز وجل ((إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)^(٥٣)، وقوله سبحانه (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)^(٥٤).

ولم يقتصر سند الأصوليين على الآيات القرآنية الناسخة، بل تعداه إلى استخدام بعض الأحكام الفقهية والنصوص الأدبية ومن ذلك ما يروى عن عبدالله بن المبارك، من شعر أرسله إلى صديق له يجاور الحرم يفيد أن جوار الحرم والعبادة فيه في الوقت الذي تنتهك فيه الحرمات وتسفك الدماء وتستباح الأعراس، ويجتث فيه دين الله من الأرض ليس هو العبادة المثلى، إذ يقول:

أيا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعبُ
من كان يخصب خده بدموعه فصدورنا بدمائنا تتخضبُ

ويعضدون موقفهم هذا بما يروى عن شيخ الإسلام ابن تيمية، والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه.

ويقول الشيخ عبدالله عزام _ الذي ينظر إليه على أنه رائد من رواد الحركة الأصولية الإسلامية في وصيته إلى الأمة الإسلامية: (وكل مسلم يحمل وزر ترك البندقية، وكل من لقي ربه - غير أولى الضرر- دون أن تكون البندقية في يده فإنه يلقي الله آثماً، لأنه تارك للقتال، والقتال الآن فرض عين على كل مسلم في الأرض _ غير المعذورين _ وترك الفرض إثم^(٥٥)).

(51) سورة البقرة : الآية (272)

(52) سور الغاشية : الآية (٢)

(53) سورة الرعد : الآية (٧) .

(54) سورة النحل : الآية (١٢٥)

(55) الشيخ عبد الله عزام : مجلة الجهاد ، وصية الشيخ عبد الله عزام ، العدد ٦٣ سنة ١٤١٠ هـ /

١٩٩٠م ، ص ٦٠ .

ويقول الشيخ عبدالله عزام أيضا: ((وإنني أرى أن لا إذن لأحد اليوم في القتال والنفير في سبيل الله، لا إذن لوالد على ولده، ولا زوج على زوجته، ولا لدائن على مدينة، ولا لشيخ على تلميذه، ولا لأمير على مأموره))^(٥٦).

ويؤكد الشيخ عبدالله عزام على أن هذا إجماع الأمة جميعا في عصور التاريخ كلها: إنه في مثل هذه الحالة ((يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها)) ومن حاول أن يغالط في هذه القضية فقد تعدى وظلم واتبع هواه بغير هدي من الله تعالى.. فهي قضية واضحة لا غبش فيها ولا لبس فلا مجال لتميعها ولا حيلة لأحد في التلاعب فيها وتأويلها.

إن أمير المؤمنين لا يستأذن في الجهاد في حالات ثلاث:-

- ١- إذا عطل الأمير الجهاد.
- ٢- إذا فوت الإذن المقصود.
- ٣- إذا علمنا منعه مقدماً.^(٥٧)

ويقول الشيخ عبدالله عزام في وصيته للأطفال: تربوا على نعمات القذائف ودوي المدافع، وأزير الطائرات، وهدير الدبابات، وإياكم وأنغام الناعمين، وموسيقى المترفين وفراش المتخمين))^(٥٨).

هذه الثقافة، التي ترتب عليها الحركة الأصولية الإسلامية الجهادية نهجها القائم على العنف، وجدت لها ثلاثة ميادين واسعة لتحركها وممارستها للعنف:-

(٥٦) المصدر السابق ص ٦١ .
(٥٧) نفس المصدر السابق ص ٦٢ .
(٥٨) نفس المصدر السابق ص ٦٢ .

الميدان الأول: ميدان دولي؛ وجدت فيها الأصولية مجالاً واسعاً لتحركها ، ولخروج فكرها وثقافتها التي تربت عليها، وذلك فيما تتعرض له الأقليات الإسلامية في العالم من اضطهاد وقمع وقتل، كما هو واقع في الاتحاد السوفيتي السابق؛ وخاصة طاجكستان ، والشيشان، وداغستان ، وفي أذربيجان، وفي الهند، وخاصة في كشمير، وفي يوغسلافيا، وفي أوروبا الغربية، حيث ظهرت الحركات العنصرية المعادية للمهاجرين المسلمين. وفي أمريكا وحدها كشف تقدير أصدره مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية ((كبير)) في الثالث من مايو ٢٠٠٤ عن أوضاع حقوق المسلمين المدنية خلال عام ٢٠٠٣م عن ارتفاع حالات التمييز ضد مسلمي أمريكا بنسبة ٧٠% في عام ٢٠٠٣م مقارنة بعام ٢٠٠٢م، وبنسبة ٢٧٨% مقارنة بالعام السابق لأحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.. وجرائم الكراهية التي تعرض لها مسلموا أمريكا ارتفعت بنسبة ١٢١%.

والميدان الثاني: إقليمي متنوع الجوانب؛ منها فرض عقوبات دولية على المسلمين بحجة معاقبة الأنظمة السياسية الخارجة على القانون الدولي، كما جرى في العراق وليبيا، ومنها ما وقع حديثاً ((يوم الثلاثاء الموافق ١١/٥/٢٠٠٤)) من فرض عقوبات اقتصادية على سوريا، وما سيجري في السودان وإيران لاحقاً. ومنها الأخذ بسياسة الازدواجية المتناقضة بين العرب وإسرائيل، وآخر تجليات هذه الازدواجية المتناقضة الضغط على الدول العربية لتجديد التزامها بمعاهدة الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل، وإجبار الدول العربية الساعية إلى تملك تلك الأسلحة إلى التخلص منها كما حدث مع ليبيا، وفي الوقت نفسه

تركت إسرائيل دون مساءلة تجاه ترسانتها النووية التي بلغ حجمها (١٥٠) قنبلة من معايير متعددة.

والميدان الثالث: داخلي قائم على الصراع على السلطة في بعض الدول العربية، أو بالصراع معها من أجل اختلاف إيديولوجي ديني أو نحوه.

وكل هذا يقودنا في النهاية إلى تفهم سيكولوجية الأصولية الإسلامية كحركة سياسية تربت على ثقافة دينية خاصة بها، قائمة على إقصاء الآخر أو المقابل المخالف في دينه وعقيدته من خلال فهم خاص لمسألة الجهاد والمواجهة التي حملت طابع العنف في صور ومناسبات عديدة. وللتغلب على هذه الثقافة فإن الأمر يتطلب ما يلي :-

أولاً : إشاعة فهم الدين الإسلامي في صورته الصحيحة، بمنهجية قائمة على استيعاب الإسلام بأركانه والإيمان بشعبه والدين بكماله من مصادره الأصلية ومن علمائه الموثقين.

ثانياً : سد الفجوات والعوامل التي تولد العنف؛ ومن ذلك كف يد إسرائيل ومنعها من العبث في المنطقة والعالم، وقتل الأبرياء، وحل مشكلة الفلسطينيين والعمل على سيادة القانون الدولي وتطبيقه على كل من تجرأ على القوانين الدولية والأحكام والأعراف الإنسانية والأخلاقية، وإقامة العدالة السياسية، والاجتماعية في المجتمعات العربية والإسلامية؛ والعمل على توفير حياة كريمة لكل مواطن على أرضه ووطنه.

وفي هذا يفوت على الحركة الأصولية الإسلامية السياسية، الكثير من استراتيجيتها القائمة على سيكولوجيتهم التي تعمل على توظيف العواطف الدينية من أجل تحقيق أهداف سياسية، وبجانب استغلال العواطف الدينية فإنها

تعمل على استثمار المشاكل الاجتماعية والاقتصادية أيضاً، وجذب فاقدى الأمل إلى القاعدة الشعبية التي يسعون إلى توسيعها، وهي تعمل في الوقت ذاته، بجانب مساعيها السابقة على الإيحاء بأنها قد توصلت إلى الحل النهائي المتمثل في تطبيق الشريعة الإسلامية القائمة على فهمهم الخاص لها؛ وأن فيها الحل لكل ما تعاني منه الإنسانية، وهذا المسعى الأخير يضع كل من يعارضهم على هذا الطرح في حالة رفض للشريعة سواء كان، من المسلمين أو غيرهم، لأنهم في نظرهم لم يرضوا بالحل الإلهي القائم على الحاكمية الإلهية.

ثالثاً : يناقش بعض المنكرين العرب المعاصرين هذا التوجه الأصولي بأنه عندما توضع الحاكمية الإلهية مقابل السيادة الشعبية تنتفي أي ((إمكانية لبنا دولة حديثة، لان ذلك يلقي بذاته ضرورة التفكير في الدولة نفسها. وعندما لا يصبح الشعب مرجع السلطات، وإنما الفقيه أو الإمام أو أمير الجماعة الذي يستمد شرعيته من جماعته، وحزبه، وحركته، ويعتقد أكثر من ذلك انه يعمل بتأييد من الله، إن لم يكن ناطقا بشريعته ومنفذا لأحكامه، تنتفي كل فرصة لنشوء الحرية العقلية، أو السياسية، وأي شكل من أشكال الديمقراطية. وبالعكس إن الثورة السياسية الحديثة تقوم أساسا على رفض إضفاء القداسة على السلطة من خلال خلطها مع حاكم يحكم بإسم الدين، أو يدعي الإلهام الديني، بل حتى الإلهام العقلي، ذلك أن مثل هذا التقديس لا يعني شيئا سوى احتكار الحقيقة، ومنع التفكير الجماعي في مسألة السلطة التي هي صلاحية اتخاذ قرارات تتعلق بحياة الجماعة. وهناك مفكرون إسلاميون كثر يرفضون فكرة الحاكمية، ويؤمنون بان التقليد الإسلامي يسير بالعكس من ذلك، وهو أسبقية الجماعة..

فالحقيقة ليست موجودة عند شخص يدعي الفهم الأصح للنص، خاصة وأن الاتصال بالوحي قد انتهى مع خاتم الرسل. الحقيقة موجودة عند جميع المؤمنين،

وبالأحرى في التفاهم فيما بينهم أو في توافقهم وإجماعهم. ومن الواضح أننا عندما نضع الحاكمية الإلهية مقابل السيادة الشعبية فنحن نضع أسس بناء دولة تدعي العمل بوحى من الله وبالتوافق معه، ولو بصورة غير مباشرة، لأنها تعطي الحق لفئة من المسلمين، بل لأمير جماعتهم في التفسير الصحيح للدين وحرمان الآخرين منه. وعندما تدعي سلطة ما أنها تنطلق من الدين والقرآن، وإن فهمها للقرآن هو الصحيح، فلن تعود هناك أي إمكانية لا لمناقشتها، ولا لمعارضتها، ولا لمساءلتها، حتى ولو أخطأت، فهي تعمل بوحى معطن من القرآن، وفي هذه الحالة سنكون أمام سلطة دينية لا يمكن بأي حال ضبطها أو تطويرها أو تعديلها أو المشاركة فيها^(٥٩) وينبغي مواصلة هذا اللون من النقد الفكري للتوجه الأصولي بـرغم نزعتة القتالية- فإن الجانب الفكري من أطروحتهم لا يقاوم إلا بالفكر.

وفي ختام بحثي أقرر: إن الأصولية الصهيونية المسيحية، والأصولية الإسلامية السياسية بثقافتهما المغلوطة و فكرهما الهدام يولدان العنف في العالم. وعلى حسب حدته وأسبابه، وظروفه، وأدواته وإمكاناته، يتفاوت العنف من قتل للأبرياء، إلى تدمير للعمران والحضارة بل هدم للقيم الأخلاقية والإنسانية، ولقيمة الإنسان نفسه وإنجازاته التاريخية، ولكني على ثقة في الوقت نفسه أننا في حدود مشكلتنا ومنطقتنا على الأقل- لو أحسنا استخدام الحلول الثلاثة المقترحة آنفاً فنستطيع بإذن الله القضاء على هذه المشكلة التي تتهدد حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(59) د/ برهان غليون: العرب وتحولات العالم، ص ٢٣٧-٢٣٨. الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م، طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب.

الخاتمة

لعلنا نستطيع أن نستخلص من هذه الدراسة، عن البعد الثقافي لظاهرة العنف بين الأصولية الصهيونية المسيحية والأصولية الإسلامية السياسية، النقاط التالية:-

١- إن التحولات التي حدثت أو وقعت بعد أحداث ١١ سبتمبر كانت نابعة وناجئة عن ثقافة تشيع بين غالبية الإدارة الأمريكية الحالية القائمة على المبدأ القائل: إن من الضروري أن تكون للإدارة الأمريكية حرية التصرف كاملة في جميع أرجاء المعمورة. وهذه الثقافة الدينية تحمل صبغة التشدد، والتقيد بالمتطلبات الدينية القائمة على ضرب من الغريزة الدينية والنزعة الشوفينية .

٢- وإن الحركة الصهيونية المسيحية في جوهرها قائمة على عقيدة العودة الثانية للمسيح، الذي لا بد أن يسبقه قيام الدولة اليهودية. وهذا يبين أن ديانة الأمريكيين ديانة مركبة من اليهودية المسيحية.

٣- إن الانطلاقة الكبرى للمسيحية اليهودية ارتبطت بحركة الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر، إذ أعدت البروتستانتية الاعتبار لليهود، حيث أصبح العهد القديم المرجع الأعلى للاعتقاد البروتستانتي، ووصل تهويد المسيحية إلى ذروته مع الثورة البيوريتانية في القرن السابع عشر، إذ غالى هؤلاء البيوريتانيون في إجلال العهد القديم، وطالبوا الحكومة البريطانية بأن تعلن التوراة دستوراً للبلاد.

٤- وبناء على هذه الثقافة استطاعت الصهيونية المسيحية من خلال منظماتها التأثير على الرأي العام والكونجرس الأمريكي، و تأكيد شرعية دولة إسرائيل، ودعمها اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، باعتبار ذلك التزاماً لاهوتياً وأخلاقياً

أمريكياً. ثم تهويد القدس باعتبارها المدينة التي سيحكم المسيح العالم منها لدى عودته الثانية.

٥- ويهدف الصهيوينيون المسيحيون من وراء تهديم المسجد الأقصى وقبة الصخرة إلى إثارة مسلمي العالم ضد إسرائيل وهجومهم عليها، الذي هو أحد مستلزمات وقوع معركة ((هرمجيدون)) التي تسبق في عقيدتهم العودة الثانية للمسيح.

٦- وأن تأثير الصهيوينيون المسيحيين بالغ الأثر والضرر على المجتمع الإنساني والعالمي والأخلاقي كله، وعلى قيمة البشرية وإنجازاتها نظراً لما يمتلكونه من قوة سياسة منظمة، واستراتيجية توسعية هادفة إلى إنهاء العالم بناءً على اعتقاداتهم العقديّة والإيمانية، والتي في مجموعها تعمل على تعجيل عودة المسيح للألفية الثانية، التي يرتقبون في ظلها أن يرفعوا مع السيد المسيح بأجسادهم إلى السماء.

٧- ولا ينبغي أن نتغافل عن أن هناك على الأطراف الأخرى في الولايات المتحدة شخصيات دينية ودبلوماسية و مثقفين ومفكرين كثر لا يؤيدون المحافظين الجدد لا في اعتقاداتهم الأصولية هذه ولا في سياساتهم الخارجية ولا الداخلية.

٨- مازال الإعلام الغربي والأمريكي حتى يومنا هذا يسيء إلى الإسلام والمسلمين بصور مختلفة بسبب هذه الخلفيات الثقافية السائدة.

٩- ولا ينبغي أن ننسى أيضاً أنه قد ولدت المواريث السياسية والعسكرية بعد التحرر من الاستعمار في العالم الإسلامي مشاعر نفسية وعقلية معقدة و تركت بصماتها في بنية المجتمعات العربية والإسلامية نفسياً من الهزيمة

العربية في فلسطين إلى هزيمة ١٩٦٧ على يد إسرائيل، حتى الهزيمة الباكستانية في عام ١٩٧١م على يد الهند، وأنه جرى التعامل مع هذه النكسات والنكبات العربية والإسلامية على إنها دليل علمي على إفلاس الأنظمة المدنية ذات الطابع الغربي، وأن الحل عند الأصوليين الإسلاميين السياسيين كامن في الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

١٠- وأن الأصولية الإسلامية السياسية لا تملك مشروعاً اجتماعياً وسياسياً مستمداً من الشرع منسجماً مع معطيات العصر ويتعايش معه، فإن مشروعها الحقيقي قائم على المقاومة والعنف فقط، إذ تفتقر إلى أية معطيات نظرية أو استراتيجية واقعية لبناء الدولة في العصر الحديث. غير انه ينبغي أن ندرك أن نسبة الأصوليين الإسلاميين بالنسبة للمجموع المسلمين نسبة ضئيلة جداً، ولذا فإن تأثيرهم محدود جداً وإن معظم ما قاموا به من أعمال تدميرية هي من قبيل رد الفعل ولو اتبعنا المقترحات الثلاثة في آخر البحث فلربما أمكننا مواجهة المشكلة على نحو حل واقعي.



المصادر والمراجع

- ١- انجمار كارلسون : الإسلام وأوروبا؛ تعايش أم مجابهة، ترجمة سمير يوناني الطبعة الأولى ٢٠٠٣م. طبعة مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
- ٢- الكتاب المقدس،
- ٣- برهان غليون: دكتور؛ العرب وتحولات العالم، الطبعة الاولى ٢٠٠٣م، طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- ٤- جريدة الأهرام المصرية، العدد ٤٢٨٩٢، لسنة ١٢٨، ١٣ مايو ٢٠٠٤م.
- ٥- حسن حنفي: دكتور؛ الحركات الإسلامية في مصر، طبعة المؤسسة الإسلامية للنشر، الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مصر.
- ٦- رضا هلال: الأستاذ المسيح اليهودي ونهاية العالم، طبعة مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، مصر.
- ٧- تفكيك أمريكا، طبعة الإعلامية للنشر، سنة ١٩٩٨م، مصر.
- ٨- ستيفان هالبر وجوناثان كلارك: التفرد الأمريكي، المحافظون الجدد والنظام العالمي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ٢٠٠٥م.
- ٩- ستيفن سايزر: الصهيونيون المسيحيون على الطريق إلى هرمجدون ، الناشر: الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م، بيروت.
- ١٠- عبدالله النفيسي: دكتور؛ الحركات الإسلامية ثغرات في الطريق، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، دون تحديد الناشر.
- ١١- عبدالله عزام: دكتور؛ مجلة الجهاد : وصية الشيخ عبدالله، العدد ٦٣ سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ١٢- غريس هالسل : النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك، طبعة دار النفائس، الطبعة سنة ٢٠٠٣، بيروت.

- ١٣- الفضل شلق:- عودة الاستعمار والحملة الأمريكية على العرب، طبعة دار النفائس، الطبعة الاولى٢٠٠٤م، بيروت.
- ١٤- محمد السمال:- الدين في القرار الأمريكي، طبعة دار النفائس، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، بيروت.
- ١٥- الاستغلال الديني في الصراع السياسي، طبعة دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، بيروت.
- ١٦- الصهيونية المسيحية، الطبعة الثانية، طبعة دار النفائس، سنة ١٩٩٣م، بيروت.
- ١٧- مصطفى زيد: دكتور النسخ في القرآن.

- 18- Jimmy Carter: The Blood of Abraham, ((London,sidywick and Jackson, 1985.
- 19- Speech by president Jimmy Carter, Department of state Bulletin, vol 78, No. 2015 ((1978))p.4.
- 20- Rommic Dugger, does peagan Exect anuelear Armegeeddon, Washington post, 17april 1984.
- 21- H.Lindsay, The final buttle ,palosverdes California, Western Front, (1995)).
- 22- Stephan Halper and Jonathan Clarke 2004 America Alone. The Neo conservatives and The Global Order. Dar Al kitab Alarabi – Beirut – Lebanon.
- 23- William Kristol, < Taking The War Beyond Terrorism,> Washington Post, January 3,2002, A25.
- 24- Lawrance F.Kaplan ,<The Neo-Mc Governites,> Wall Street Journal, July 8, 2003, P.A 16.
- 25- Richard Perle, <The Us Must Strike at Iraq,> New York Times, December, 28, 2001.
- 26- Philipe Zelikow, <The Transformation of National Security,> National Intrest, Spring 2003.
- 27- John Lewis Gaddis <Grand Strategy of Transformation> Foreign Pollicy, November- December 2002. NSS.

